الحلقة الخامسة والعشرون

الصوم تتمثل فيه الوحدة

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فكل عبادة شرعها الله ، سواء كانت صلاة أم صياما أم حجا ، يتجلى فيها معني عظيم ، ويتمثل في أدائها أمر علي جانب من الأهمية ، هذا الآمر الكبير هو الوحدة ، وحدة العبادة ، وحدة الطاعة ، وحدة النظام ، وحدة الهدف ، وحدة الخوف من الله وهذا هو جانب الصيام ، انه تتمثل فيه الوحدة في أروع صورها وأعظم معانيها ، وها نحن أولاء نري الصائمين يمسكون عن الطعام والشراب في وقت معين لا يتجاوزونه ، ويمسكون كذلك عن الطعام والشراب في وقت معين لا يتجاوزونه ويمسكون كذلك عن الناحية الجنسية في زمن محدد ، ولا يمكن لأي منهم أن يفعل شيئا من ذلك ما دام الوقت المعين لم يحل ويظل الوضع كذلك وهو الإمساك والكف عن تناول هذه الأشياء ، من الفجر إلى غروب الشمس ..

إنها وحدة رائعة ، فلا أكل ولا شرب من جانب كل الصائمين طيلة هذه المدة الكبيرة ، ولا تفكير في شيء من تلك المحظورات وإنما كف وامتناع ، وامتثال لله تبارك وتعالي فإذا جاء وقت الغروب ، زال الحظر المفروض علي الصائمين ، حل الطعام والشراب والاتصال الجنسي من الغروب إلى قبيل الفجر، وفي هذا الوقت الذي يرفع فيه الحظر علي مستوي العالم الإسلامي ، يكون المسلمون أمام موائد الإفطار ، يلتفون حولها ويتناولون ما وضع فوقها ، وهم في فرح وسرور ، لأنهم امتثلوا أوامر الله ، ونفذوا تعليمات السماء ،

وصاموا كما أمر الله ، ووفقوا في الإمساك عما يتعارض مع الصيام ، فلهم إذاً أن يفرحوا لأنهم نجحوا ، ولهم أن يبتهجوا لأنهم وفقوا ، ويؤيد فرحهم وابتهاجهم بهذا النجاح والتوفيق ، ما جاء في هذا الحديث القدسي : للصائم فرحتان يفرحهما ، إذا أفطر فرح بفطره ، وإذا لقي ربه فرح بصومه . (أحمد ومسلم).

إنهما فرحتان : فرحة دنيوية : وفرحة أخروية ، وما أعظم فرحة الآخرة إنها فرحة بما أعده الله من مزايا للصائمين وأجر عظيم من الله الكريم . إن الصيام يجسّد هذه الوحدة كل التجسيد ، امتناع في وقت واحد ، وفطر في وقت واحد ، ثم إن الهدف واحد ، وهو الحصول علي المكافآت الإلهية ، والوصول إلى الرضا الرباني ، ونجد هذه الوحدة أيضا في الصلاة والحج ، ففي الصلاة وحدة الامتثال والطاعة ، والنظام والهدف ، فالمصلون يمتثلون أمر الله ، وهم يؤدون الصلاة بطريقة معينة ، وكيفية واحدة ، فالجميع يصلون وقوفا عند القدرة ، ويتلون الفاتحة، ثم يركعون وير فعون ، ويسجدون سجدتين بينهما جلوس ، ثم ينهضون للركعة الثانية وهكذا حتى تنتهي الصلاة ، فكل مسلم في أي بقعة من الأرض ، يصلي بطريقة الرسول - عليه الصلاة والسلام - التي علمنا إياها، والتي قال بشأنها : - صلوا كما رأيتموني أصلي... فالصبح ركعتان كما كان يفعل الرسول والظهر أربع ركعات ، كما ورد عنه - عليه السلام - والعصر أربع ، والمغرب ثلاث ، والعشاء أربع ركعات ، بلا زيادة في شيء من الصلوات ، ولا نقصان لشيء منها ، وهي تفتتح بتكبيرة الإحرام ، وتختتم بالسلام ولها وقت معين وزمن محدد .

والصلاة بوحدة وقتها وطريقتها وعدد ركعاتها ، تمثل الوحدة في أروع صورة ، والحج كذلك عبادة تجسد الوحدة ، فالحاج يلبس إزاراً ورداءاً ، ويطوف سبعا ويسعى سبعاً ، ويقف بعرفة في يوم معين وهو اليوم التاسع من ذي الحجة،

وهو ينوي عند ميقات معين ، ويرمي الجمرات في وقت معين ، وإذا فعل محظورا وجب عليه أداء ما ألزمه به الشرع مقابل فعل المحظور وكذلك الشأن بالنسبة لترك شئ أمر به .

وهكذا نجد طريقة الأداء واحدة ، والتقيد بأعمال معينة واحدة ، دون فرق بين غني وفقير ، ولا رئيس ومرءوس ، فالحج إذاً فيه وحدة ، والعبادات ذات هدف مشترك ، ووحدة رائعة من صنع الله - تبارك وتعالي - .

أيها الإخوة والأخوات : إن الصيام فريضة مقدسة وعباده هادفة ، وقانون رباني ، وراءه الخير والأجر ، وقد عرفنا أن هذه الفريضة تستهدف وحدة الصائمين ، وتبرز هذه الوحدة في صورة واضحة ، يحس بها كل صائم ، ويدركها كل مؤمن حين يري كل الصائمين من الفجر إلى غروب الشمس ، متشبهين بملائكة الله ، فلا طعام يتناولون ، ولا ماء يشربون ولا زوجة يقربون ، حتى ولو كانت النفس بحاجة إلى شيء من ذلك .

إنه إلجام للنفس حقا وإنه الصبر عن المشتهيات ، وإنها الإرادة القوية والعزم والجلد ، وإنها الوحدة التي تجمع الصائمين علي هذه الصورة ، وتضعهم في إطار الامتثال لأمر الله ، والاستجابة للخالق العظيم ..

إن الإنسان في غير شهر رمضان ، لا يستطيع أن يصبر هذه المدة الطويلة دون أكل أو شرب ، ويجد نفسه عاجزة عن الامتناع عن الطعام والماء ، ولكنه في شهر رمضان يجد لديه القوة والتحمل والصبر الجميل والعزيمة الحديدية ، وما السبب في ذلك ؟ إنه خوف من الله ، وإنها فريضة الصيام التي يجب أداؤها بأمانة ووجل من الله ، وهي تلك التي يؤديها المسلمون بصورة جماعية ، وإنها الوحدة

التي توحد مشاعرهم إزاء عبادة ربهم ، وتسكب في قلوبهم احترام تلك الوحدة الإيمانية .

فما أروع هذه الصورة الحية النابضة ، وما أعظم تلك العبادة التي تكوّن الشخصية الإنسانية المثالية ، وتؤهل المؤمنين لحياة دنيوية وأخروية هانئة سعيدة ، وإنا لنسأل ربنا - جل شأنه -، أن يجعل العبادات ذات احترام من جانبنا ، وأن نؤديها علي الوجه الأكمل الذي به نرضي الله تعالي ، والله الموفق .